رابط المادة على منصة باحث

)مكتمل(شرح مقدمة تفسير التحرير والتنوير الطاهر ابن عاشور

81- شرح مقدمة تفسير الطاهر ابن عاشور) التحرير و التنوير (| يوم ٧١/٤/٥٤٤١ | الشيخ أ.د يوسف الشبل

يوسف الشبل

بسم الله والحمد لله واصلي واسلم على اشرف الانبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى اله وصحبه ومن اهتدى بهداه الى يوم الدين اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعني بما علمتنا وزدنا علما وعملا يا رب العالمين. هذا اليوم هو اليوم السابع عشر من الشهر الرابع من عام خمسة واربعين - 00:00:00

الكتاب الذي بين ايدينا هو كتاب مقدمة التحرير والتنوير. التحرير والتنوير هذا كتاب تفسير. الفه محمد ابن عاشور رحمه الله المتوفى سنة الف وثلاث مئة وثلاثة وتسعين. وهو من علماء بلاد تونس - 00:00:20

وضع مقدمة طويلة جدا في تفسيره. لان تفسيره تفسير ضخم. قارب او زاد على الثلاثين مجلد. وضع فيه مقدمة وهذه مقدمة قسمها الى عشر مقدمات. ونحن الان قرأنا هذه المقدمات ولا زلنا في المقدمة - 00:00:40

عاشرة وهي تتعلق ببلاغة القرآن واعجازه. يقول كأن المؤلف من خلال ما مر معنا في لقاء الماضية انه يركز على ان ان اعجاز القرآن هو اعجازه في لغته وبلاغته. وذكرنا - 00:01:00

اتفقنا على الكلام ان القرآن معجز من كل وجه. معجز في تلاوته وفي شفائه الاستشفاء به. ومعجز في تأثيره على معجز في في اخباره ومعجز في علومه معجز بكل شيء. لا نحده بحد معين - 00:01:20

لا نقول انه معجزة في البلاغة هو واللغة. لكن المؤلف يميل الى هذا الشيء يقول لان العرب كانوا اهل عربية وصحاء. وبلغاء فاعجزهم القرآن من هذه الناحية. طيب هو الان سيتكلم عن اي شيء؟ عن مسألة نظم القرآن والمراد - 00:01:40

في نظم القرآن هو ترتيبه ونسقه. كيف يأتي القرآن بهذا النظم الجميل؟ وهذه الالفاظ الجميلة واختيار الالفاظ وترتيبها هذا هو المقصد بالنظم اذا قيل لك نظم القرآن. القرآن منظوم بهذا النظم. يقول ومما يجب التنبيه له ان مراعاة المقام في ان - 00:02:00

ينظم الكلام على خصوصيات خصوصيات بلاغية هي مراعاة من وهي مراعاة من مقومات بلاغة الكلام وخاص وخاصة في اعجاز القرآن. يعني يقول لك الاصل ان الانسان لما يتكلم يتكلم بكلام - 00:02:20

منظم فالخطيب عندما يلقي الخطبة او الشخص عندما يلقي الكلمة او الذي يكتب الرسالة او يكتب الخطاب لابد ان ينظم كلامه ويرتبه. فالقرآن اولى بذلك. هذا هو مقصود المؤلف. فيقول هنا - 00:02:40

من مقومات بلاغة القرآن وبلاغة الكلام خاصة القرآن في اعجاز القرآن يقول هو مراعاة النظر. يقول فقد فقد تشتمل اية من القرآن على خصوصيات على خصوصيات تتساءل نفس تتساءل نفس المفسر عن دواعيها - 00:03:00

قال وما يقتضيها فيتصدى لتطلب مقتضيات لها ربما جاء بها متكلفة او مغصوبة. ذلك لانه لم يلتفت الى لم يلتفت الا الى مواقع الفاظ الاية. في حال ان مقتضياتها في - 00:03:20

قاطع منوطة او مقتضياتها منوطة بالمقامات التي نزلت فيها الاية. مثال ذلك ماذا يقول؟ يقول ان احيانا بعض المفسرين يأخذ الكلمة وينتزعها. ثم يفسر معناها ويفوته نظم الكلمة. يعني سياق الاية ونظمها وارتباطها بما قبلها وبما بعدها. هذا يكشف لك معنى اكبر - 00:03:40

طيب يقول هنا يعطيك مثال يقول لك قوله تعالى اولئك حزب الله الا ان حزب والله هم الخاسرون. ثم يأتيك بعدها فيقول لك اولئك

حزب الله اول شيء قال اولئك حزب الشيطان - 00:04:10
اول الاية قال اولئك حزب الشيطان. الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون. ثم قال بعدها اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون. قال فقد يخفى مقتضى اجتذاب حرف التنبيه - 00:04:30
في افتتاح كلا الجملتين يقول ما السر؟ في قوله الا هذا حرف تنبيه. اما قال اولئك حزب الشيطان ثم قال الا اولئك حزب الله الا ما معنى الا؟ قال حرف تنبيه في افتتاح الجملتين - 00:04:50
قال فيأوي المفسر الى تطلب الى تطلب الى تطلب مقتضيه ويأتي بمقتضيات عامة مثل ان يقول التنبيه للاهتمام بالخبر. ولكن اذا قدرنا ان الايتين نزلتا بمسح اسمعي من المنافقين والمؤمنين جميعا علمنا ان اختلاف حرف التنبيه في الاولى لمراعاة ايقاظ فريقي المنافق - 00:05:10
والمؤمنين جميعا. فالاولون لانهم يتظاهرون بانهم ليسوا من حزب الشيطان. في نظر المؤمنين. اذ هم يتظاهرون بالاسلام فكأن الله يقول قد عرفنا دخائلكم. وثاني الفريقين وهم المؤمنون. نبهوا انهم غافلون عن دخائل عن دخائل الاخرين وكانه يقول لهم تيقظوا فان الذين يتولون - 00:05:40
اعدائكم هم ايضا عدو لكم. لانهم حزب الشيطان والشيطان عدو لله او وعدو الله وعدو وعدو الله عدو لكم. قال واجتناب حرف التنبيه في الاية الثانية لتنبيه المنافقين يا فضيلة المسلمين لعلهم يرغبون فيها او فيهم عن النفاق يعني يرجعون عن النفاق - 00:06:10
وتنبيه المسلمين الى ان حولهم فريقا ليسوا من حزب الله فليسوا بمفلحين ليتوسموا احوالهم حق التوسم فيحذرون. يعني نلاحظ ان ان يعني ابن يريد ان يركز على قضية يعني ائتلاف الكلام وتناسق الكلام. وما يسمى ايضا - 00:06:40
نظم الكلام. فيقول لك يعني كلمة الا لها معنى في الاول والا لها معنى في الثاني. لا انها مجرد تنبيه. طيب يقول ومرجع هذا الصنف من الاعجاز يعني الى ما يسمى في عرف علماء البلاغة بالنكت البلاغية تسمى - 00:07:10
النكت بلاغية او الفوائد الفوائد البلاغية. طيب يقول فان اي العرب كان تنافسهم في وفرة ايداع الكلام من هذه النكت. وبذلك تفاضل بلغاء فلما سمعوا القرآن ان ثالث على كل من سمع من سمعه من بلغائه من النكت التي - 00:07:30
لها ما لم يجد من قدرته قبلا بمثله. واحسب قالوا احسبوا ان كل بليغ من قد فكر في الاستعانة بزملائه من اهل اللسان فعلم ان فعلم ان لا مبلغ بهم الى - 00:08:00
على الاتيان بمثل القرآن في عهده كل واحد من من ذوق زميله. هذا كله بحسب بحسب ما بلغت اليه قريحة كل واحد ممن سمع القرآن منهم من التفطن الى نكت القرآن وخصائصه - 00:08:20
وراء ذلك نكت لا يتفطن اليها كل واحد واحسبوا ان انهم تآمروا وتدارسوا بينهم في نواديهم امر تحدي الرسول صلى الله عليه وسلم اياهم بمعارضة القرآن. يعني الرسول تحداهم بمعارضة القرآن. وتواصوا - 00:08:40
اشتملت عليه بعض اياته العالقة بحوافظهم واسماعهم من النكت والخصائص واوقف بعضهم بعضا على ما لاح له من تلك الخصائص وفكروا وقدروا وتدبروا فعلموا انهم عاجزون عن الاتيان بمثلها ان انفردوا او اجتمعوا. ولذلك سجل القرآن عليهم عجزهم. في الحالتين فقال تارة فاتوا بسورة من مثله - 00:09:00
وقال لهم مرة لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا فحالة اجتماعهم وتظاهرهم لم تكن مغفورا عنها بينهم ضرورة انهم متحدون بها. يقول وهذه الناحية من من هذه الجهة من الاعجاز هي اقوى - 00:09:30
نواحي اعجاز القرآن وهي التي يتحقق بها اعجاز اقصر سورة منه. يقصد الاعجاز البلاغي يسمى باعجاز نظم القرآن. يقول وفي هذه الجهة ناحية اخرى وهي ناحية فصاحتك اللفظ وانسجام النظم - 00:09:50
وذلك بسلامة الكلام في اجزائه ومجموعه مما يجر الثقل الى لسان ناطق به ولغة ولغة العرب لغة ولغة العرب لغة فصيحة. واهلها مشهورون بفصاحة بفصاحة الالسنة. قال الرازي في متى في مفاتيح الغيب؟ ان المحاسن اللفظية غير مهجورة في في غير مهجورة

غير مهجورة في الكلام - 00:10:10
الحكمي والكلام له جسم وهو اللفظ وله روح وهو المعنى. والكلام له جسم فجسمه اللفظ وروحه المعنى. وكما ان الانسان الذي نور روحه بالمعرفة ينبغي ان ينور جسمه بالنظافة كذلك الكلام قال ورب كلمة حكمية لا تؤثر في النفوس بركاكة لفظها - 00:10:40
وكان مما يعرض لشعرائهم وخطبائهم الفاظ ولهجات لها بعظ الثقل على اللسان. فاما ما يعرظ للالفاظ فهو ما يسمى في علم الفصاحة بتنافر الكلمة او تنافر الحروف عند اجتماعها مثل مستشترات والكنهبل وفي معلقة امرؤ القيس وسفنجت - 00:11:10
الخفيدد في معلق والخفيف وسفنجة والخفيد في معلقة طرفة قول القائل وليس قرب وليس قرب قبري حرب قبر. يقول كان هذه العبارة قوية وصعبة وصعبة حتى في نطقها - 00:11:40
يقول وقد سلم القرآن من هذا كله مع تفننه في مختلف الاغراض وما تقتضيه من تكاثر الالفاظ وبعض العلماء ورد قوله تعالى الم اعهد اليكم وقوله وعلى امم ممن معك وتصدى للجواب وتصدق - 00:12:10
الجواب يقول بعض العلماء قال ان كلمة الم اعهد اليكم فيها شوي من الصعوبة او على امم ممن معك قال وتصدى الجواب قال والصواب ان ذلك غير وارد. يقول ما في في القرآن. كما قال المحققون لعدم - 00:12:30
بلوغ حد الثقة. ولان حسن دلالة اللفظ على المعنى بحيث لا يخلفه فيها غيره او لا فيها غيره مقدم على مراعاة خفة لفظه. قال فقد اتفق ائمة الادب على ان وقوع اللفظ المتناثر - 00:12:50
في اثناء الكلام الفصيح لا يزيل عنه وصف الفصاحة فان العرب لم يعيبوا معلقة معلقة امرئ القيس ولا معلقة قال ابو العباس المبرد وقد يضطر الشاعر المفلق والخطيب المسطع او المصقع والكاتب - 00:13:10
بليغ فيقع في كلام احدهم المعنى المستغلق واللفظ المستكره فاذا انعطفت عليه جنبتا الكلام غطتا على على عواره وسترتا من شينه. قال واما ما يعرض للهجات العرب فذلك شيء شيء تفاوتت في مضماره - 00:13:30
جياد السنتهم. وكان مجري فيها لسان قريش. ومن حولها من القبائل المذكورة في المقدمة السادسة الان سينقلك المؤلف لاي شيء الى بلاغة القرآن الذي نزلت على على افصح بلاغة العرب - 00:14:00
وافصح لهجة لهجات العرب وافصح لسان العرب. يقول هي افصح لسان العرب هو لسان قريش ومن حولها من القبائل. يقول وهو مما فسر به حديث انزل القرآن على سبعة احرف. ولذلك جاء القرآن - 00:14:20
باحسن اللهجات واخفها وتجنب المكروه من اللهجات. وهذا من اسباب تيسير تلقي الاسماء له ورسوخ ورسوخ فيها قال تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر؟ ومما ومما اعده في هذه الناحية صراحة كلمات - 00:14:40
كلمة وكلماته باستعمال اقرب الكلمات في لغة العرب دلالة على المعاني المقصودة. واشملها لمعان عديدة مغسولة مقصودة بحيث لا يوجد فيك كلمات القرآن كلمة بحيث لا يوجد في كلمات القرآن كلمة تقصر دلالتها - 00:15:00
عن جميع المقصود منها في حالة تراكيبها. ولا تجدها مستعملة الا في حقائقها. مثل ايثار كلمة حرد في قوله وغدوا على حرب قادرين ان اذ كان في جميع معاني الحرب صالحا للارادة في ذلك الغرض - 00:15:20
قال او مجازات او استعارات او نحوها مما تنصب عليه القرائن في الكلام. فان اقتضى الحال تصرفا في معنى اللفظ كان التصرف بطريق التظمين وهو كثير في القرآن. يقول لو ظهر شيء من المجازات والاستعارات فانه - 00:15:40
يظمن قال وهو كثير في القرآن مثل قوله تعالى ولقد اتوا على القرية التي امطرت مطر السوء فجاء فعلوا اتوا مظمنا معنى مروا. ولقد اتوا يعني مروا على قرية. فعدي بحرف على كيف تقول - 00:16:00
قال لان معناها مر. لان الاتيان تعدى الى اسم القرية. والمقصود منه الاعتبار بمآل فانه يقال اتى ارض بني فلان ومر على ومر على حي كذا وهذه الوجوه كلها لا تخالف اساليب الكلام - 00:16:20
البليغ بل هي معدودة من دقائقه ونفائسه التي تقل نظائرها في كلام بلغائهم لعجز فطنة فطنة الاذهان البشرية عن الوفاء بجميعها. ثم انتقل قال واما الجهة الثانية من جهات الاعجاز البلاغي قال وهي ما ابدعه القرآن من افانين التصرف. في اساليب الكلام البليغ. وهذه

- 00:16:40
جهة مغفورة من علم من علم البلاغة. يعني التصرف في اساليب الكلام البليغ يقول من علم الاغم. فاعلم ان ادب العرب نوعان. ادبهم نوعان. شعر ونثر قال والنثر خطابة واشجاع واشجاع كهان واصحاب هذه الانواع وان تنافسوا في ابتكار المعاني - 00:17:10
تراكيب ادائها في الشعر فهي بالنسبة الى الى الاسلوب قد التزموا في اسلوبي الشعر والخطابة طريقة واحدة تشابهت فنونها تكاد لا يعدون ما ما الفوه من ذلك حتى انك لتجد الشاعر يحذو حذو الشاعر - 00:17:40
في فواتح القصائد وفي كثير من تراكيبها. فكم من قصائد افتتحت بقوله بانت سعاد. للنابغة وكعب ابن نهيب وكم من شعر افتتح بي يا خليلي يا ايها الراكب ونحن وقال امرؤ القيس في معلقته وقوفا بها صحبي علي مطية علي مطيهم - 00:18:00
يقولون لا تهلك لا تهلك اسى وتحملي. فقل فقال طرفه في معلقته بيتا مما بيتا مماثل له سوى ان كلمة القافية منها وتجلدي. وكذلك القول في خطبهم تكاد تكون لهجة واحدة - 00:18:30
واحدا فيما بلغنا من خطب سحبان وقص بن ساعدة وكذلك اشجاع الكهان وهي قد قد اختصت بقصر الفقرات وغرابة الكلمات. وانما بغرابة انما كان الشعر غالب على كلامهم وكانت الخطابة بحالة - 00:18:50
بحالة ندور لندرة مقامها قال عمر كان الشعر علم القوم ولم يكن لهم علما ولم يكن له علم اصح منه فان حصل تسابق اجياد البلاغة في في ميدان الكلام المنظوم. فلما جاء القرآن ولم يكن له ولم يكن شعرا ولا سجع كهان - 00:19:10
وكان من اسلوب النثر اقرب الى الخطابة ابتكر للقول اساليب كثيرة بعضها تنوع بتنوع مقاصد ومقاصدها بتنوع اسلوب الانشاء فيها افانين كثيرة فيجد فيها المطلع على لسان العرب بغيته ورغبته. ولهذا قال الوليد بن المغيرة لما استمع الى قراءة النبي صلى الله عليه وسلم قال والله ما هو بكاهن وما هو وما - 00:19:30
وهو بزمزمته ولا سجعه. وقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريظه ومبسوطه ومقبوضه ما هو بشاعر. وكذلك وصفه انيس ابن جنادة الغفاري الشاعر اخو ابي ذر حين انطلق الى مكة ليسمع - 00:20:00
النبي صلى الله عليه وسلم ويأتي بخبره الى اخيه وقال لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ولقد وضعت على اقرأ الشعر فلم يلتئم ولم وما يلتئم على لسان واحد بعدي انه شعر. ثم - 00:20:20
واسلم وورد مثل هذا مثل هذه الصفة عن عتبة ابن ربيعة والنظر ابن الحارث والظاهر ان المشركين لم يجدوا بدا من الحاق القرآن بصنف من اصناف كلامهم. الحقوه بايش؟ باشبه الكلام. وقالوا انه شعر تقريبا - 00:20:40
لما بما عهده القوم من الكلام من الكلام الجدير بالاعتبار من حيث ما فيه من دقائق المعاني واحكام الانتظام والنفوذ الى العقول فانه مع بلوغه اقصى حد اقصى حد في فصاحة في فصاحة - 00:21:00
العربية ومع طول اغراضه وتفنن معانيه وقوله نثرا لا شعرا ترى اسلوبه يجري على الالسنة سلسل سلسا سهلا لا تفاوت في فصاحة تراكيبه. وترى حفظه اسرع من حفظ الشعر. وقد اختار العرب الشعر لتخليد اغراض - 00:21:20
واداب واداب لانه لانه ما لان ما يقتضيه من الوزن يلجأ الى التدريب على الفاظ على الفاظ متوازنة فيكسبها ذلك التوازن تلاؤما. فكون فكون فتكون سلسة على الالسن فلذلك انحصر تسابق جياد البلاغة في الكلام المنظوم وفحول الشعراء مع ذلك متفاوتون - 00:21:40
وفحول الشعراء مع ذلك متفاوتون في سلاسة الكلام مع تسامحهم في امور كثيرة. اغتفرها الناس لهم وهي وهي المسماة بالظرورات بحيث لو كان لواحد من البشر ان يتكلف فصاحة فصاحة لما يقوله من كلام ويعاود تنقيحه وتغيير نظمه - 00:22:10
بابدال الكلمات او بالتقديم لما لما حقه او لما حقه التأخير او التأخير لما حقه التقديم او او زيادة لا اقتضى زمنا مديدا في في زمن مديدا في تأليف ما ما يقدر بصورة من متوسط - 00:22:30
والقرآن ولما سلم ولما سلم مع ذلك من جمل ولا ولا ولما سلم مع ذلك من جمل يتعثر فيها اللسان ولم يدعو مع تلك الفصاحة داع الى ارتكاب ظرورة او تقصير في بعظ في بعظ ما تقتظيه البلاغة - 00:22:50

فبني نظمه على فواصل وقرائن متقاربة فلم تفته سلاسة الشعر ولم ترزح تحت ولم ترزح تحت قيود الميزان فجاء القرآن كلاما منثورا ولكنه فاق فيه فصاحته وسلاسته على الالسنة وتوافق كلمات - 00:23:10

وتراكيبه في في السلامة من اقل تنافر. وتعثر على الالسنة فكان كونه من النثر داخلا في اعجازه وقد اشتمل القرآن على انواع اساليب الكلام العربي. وابتكر اساليب لم يكونوا يعرفونها. وان لذلك التنويع - 00:23:30

حكمتين داخلتين في الاعجاز اولاهما ظهور انه من عند الله اذ قد تعارف الادباء في كل عصر ان يظهر نبوغ النواة على اساليب على اساليب مختلفة. كل يجيد اسلوبا او اسلوبين. الثانية ان يكون في ذلك زيادة - 00:23:50

زيادة التحدي للمتحدين بحيث لا يستطيع احد ان يقول ان هذا ان هذا الاسلوب لم تسبق لي معالجة ولو جاء ولو جاءنا باسلوب اخر لعار لعارضته. يقول نرى من اعظم الاساليب - 00:24:10

خالف بها القرآن اساليب العرب ان جاء في نظمه باسلوب جامع بين مقصديه وهما مقصد الموعظة ومقصد التشريع فكان نظمه يمنح بظاهره السامعين ما يحتاجون ان يعلموه وهو في هذا النوع يشبه - 00:24:30

خطبهم وكان في مطاوي معانيه ما يستخرج ما يستخرج منه العالم الخبير احكاما كثيرة في التشريع والاداب وغيرها. وقد قال في الكلام على وقد قال في الكلام على بعضه. قال تعالى وما يعلم تأويله الا وما يعلم تأويله - 00:24:50

الا الله والراسخون في العلم. هذا من حيث ما لمعانيه من العموم والايماء الى العلل والمقاصد والمقاصد وغيرها. طيب الان يعني سينتقل ايضا المؤلف الى اساليب اخرى من بلاغة القرآن وهو ما نسميه بالتفنن قال ما يسمى بالتفنن - 00:25:10

التفنن في اساليب القرآن. ما هو التفنن وما المراد به؟ وسيأتيك ايضا اساليب اخرى يذكرها المؤلف. منها يعني ما يسمى بالعدول بالعدول هذا يأتي وتفانين اخرى يتكلم عنها المؤلف يأتي كلام عنها - 00:25:40

ان شاء الله في اللقاء القادم نقف عند هذا القدر. والله اعلم. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين - 00:26:00